

في الريف

بقلم عبد الرحمن فهدى

لسانبيه في الآداب

إذا أردت أن تمتع النفس بجمال الطبيعة فانك لست واجداً هذا الجمال في المدينة لأنها دائماً الصخب والضجيج ، مشتبكة المصالح العامة والخاصة بشباك يتعذر على المرء اللوج منها الى حيث الحرية الطبيعية التي وهبها الله عباده . ولا شك أن المدينة أحد العوامل التي أرخت ظلها الثقيل على جمال الطبيعة في المدن . بل إن هذه المدينة نفسها هي التي اضطرت ابن الطبيعة إلى أن يعقها إرضاء لشهوة المادة ، حتى إذا سُم حياة المدينة — وسرعان ما يملها لأنها حياة مضنية للعقل والجسد — تطلع إلى الطبيعة وارتمى في أحضانها إلى أن يرتوى بهياتها .

وجمال الطبيعة في مصر يتجلى في الريف والصحراء والبحر بصورة جليلة واضحة ، وقد ذقت لذة الجمال في كل قطبت نفساً بهدوء الريف وسذاجته ، وأخذتني روعة الصحراء ورهبتها ، ورفقت مع أمواج البحر وأعجبت بمظلمته ، ولكني لم ألق جمالاً أكثر تأثيراً في النفس مثل جمال الريف الطبيعي .

ولا عجب إذ تراني أقضي بعض أوقات فراغي في قريتي بالتوفيقية وهي قرية صغيرة بحجمها كبيرة بتاريخها ، ومن أبنائها العالم الكبير ، والوزير الخطير ، والدبر القدير ، ونبة المتعلمين فيها طيبة . فإذا حلت بها نسيت كل شيء إلا الجمال : فهذه حقول واسعة تنزيا في كل موسم بلباس خاص قد يكون أخضر سندياً مترسلاً موشى بالأبيض اللامع والأصفر القابع في موسم البرسيم الجميل ، وقد يكون ذهبياً راقاً عند ما تنضج سنابل القمح والشعير إذاناً بالبركة والخير الجزيل ، وقد يكون أبيض صافياً عند ظهور وبر القطن ثروة القطر وأمل الجميع ، وقد يأتي هذا اللباس إلا أن يكون ذا خطوط متقاطعة أو متوازية عند إطلاق الماء في المصارف قبل أن ينبت الزرع . وهذه دور ساذجة تقرأ فيها كل أخلاق القروي من بساطة العيش ووداعة النفس وشيء من الدهاء مقرون

بالسذاجة ، ونوع من الإهمال ممزوج بالجهل ، يشرف على هذه الدور جميعاً مثنده مسجد صغير ينبعث منها كل وقت صلاة صوت مسترسل عذب يدعو المؤمنين إلى ربهم .

ويعجبنى جمال الخلق الذي عفا معظمه في المدن ، فالفضيلة لا تزال حافظة لكيانها في القرية ، فلا بقاء ولا خس ، ولا يمكنك أن ترى قروياً غملاً في أحد طرق البلدة ، بل إن أغلب القوم متمسكون بالعمرة الوثقى . والشرف ظاهر في جوانب الحياة . الكرم والسخاء صفتان ملازمتان للقروي والقروية .

توقظك في الصباح الباكر صيحات الديكة المتناوبة ، وزقزقة المصافير المرحية ، فإذا أطلت الشمس من خدرها مؤذنة بالحياة والسكد والعمل ، خرج الفلاحون من دورهم إلى حيث انعامهم فجهزوها ورووها بالماء وقادوها إلى العمل طوال النهار ، ويعطف القروي عليها ويحنو ، عطفاً كبيراً وحنواً زائداً ، ولا عجب فهي ذراعها اليمنى التي يعتمد عليها في حياته ، تطعمه وتهيء أرضه للزرع .

ينعم الفلاحون في الحقل بكثرة العمل وتقاء الهواء وضوء الشمس إلى أن يؤذتهم غروبها بوجوب العودة إلى دورهم وهم في ذلك أيضاً أول ما يعنون به بهائمهم يقودونها إلى حظائرهم وينثرون أمامها البين والبقول أو البرسيم والشب ، أما هم فتمد لهم ألوان الطعام على الأرض وهو طعام دسم كثير وهو الرجبة الوحيدة التي يعتمدون عليها في غذائهم فضلاً عن وجبة أخرى أو وجبتين من الخبز والخبز المخزون .

وفي المشية والمساء يجتمع أهل القرية جماعات في البيوت أو خارجها على المصاطب يتسامرون ، أو يهينون صفقة بيع أو يتفقون على رى قطعة من الأرض بعد قطعة ، أو يصلحون بين متخاصمين وتلحظ عليهم جميعاً روح المعاونة والحب .

وعلى ضفة النهر الذهبية برملها البلور اللامع ترى الفتيات النواهد الحسان كلهن في جلابيبهن السوداء قد بدون مافرات الوجه في زينة طبيعية جميلة ، وما أجمل الوجه القروي الناعم الذي لم تعمل فيه يد صناع ! وقد حملن فوق رؤوسهن الجرار ، هذه تفسل جرتها وقد ارتسم جسمها الجميل على صفحة الماء الصافي ، وتلك تنترف من الماء ما هي في حاجة إليه ، وضفة النهر في هذه الفترة من كل يوم في نظري ناد لأولئك الفتيات يتقابلن فيه ويتحدثن

٦- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المنفور له احمد باشا تيمور

السيد على البيلوى

المالكي

هو على بن محمد بن احمد المالكي الحسني الادريسي من بيلاو، قرية تابعة لعمل ديروط الشريف التابعة لمديرية أسيوط، ولد بها في شهر رجب سنة ١٢٥١ ونشأ بها حفظ القرآن ومبادئ العلوم وحضر للأزهر سنة ١٢٦٩ ققرأ به على شيوخ وقته كالشيخ محمد عليش، والشيخ منصور كساب، والسيد محمد الصاوي، والشيخ علي مرزوق، والشيخ ابراهيم السنجلقي، والشيخ احمد الاسماعيلي، والشيخ محمد الانبائي، والشيخ علي بن خليل الأسيوطي، وكان له به نوع اختصاص في الحضور، وبحسب مدة حضوره الشيخ حسونه النواوي، فكانا يسكنان معاً، ومحضران معاً الدروس إلا في درس الفقه فإن المترجم كان مالكيًا والشيخ حسونه حنفيًا. ولم يزل يجد ويجتهد حتى تأهل للتدريس فدرس بالأزهر والمسجد الحسيني الكتب المتداولة، وفي سنة ١٢٨٠ سافر للحجاز فحج، ثم استخدم بدار الكتب الخديوية بالقاهرة مغيراً، حتى كانت الثورة العرابية، واتجهت الأنظار لتنصيب المصريين في المناصب الكبيرة فاعده صديقه ومريده محمود سامي بلشا البارودي على اقامته ناظرًا على هذه الدار سنة ١٢٩٩ فتمت له نظارتها بعد ماسي كثيرون لها فلم يوقفوا.

ثم لما هدأت الأمور وأطفئت الفتنة كان المترجم يتوقع القبض عليه كما فعل بكثيرين للعلم بأنه من صنائع البارودي، ولكن الله سلمه، ولم يشأ الخديو أذاته لاشتهاره عنده بالصلاح والتقوى والبعد عن الفتن فآكتفوا بفصله من دارالكتب وجبروا خاطره بالخطابة في المسجد الحسيني، ثم جعل شيخاً لخدمة هذا المسجد في ثاني صفر سنة ١٣١١. ولما غضب الخديو على السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وبشيخ الطوائف الصوفية وأمره

عنده ويستعرضن يومهن الذي خلا، وقد يفتين بصوت متناسق جميل أناشيد قروية طريفة:

وأظهرما تلحظه في القرية اليوم نوع من الركوند المال، فبعد أن كانت عقب موسم الحصد نشطة بمحركة بيع المحصول بالأثمان العالية أصبحت متأثرة بالأزمة، فأسعار رزق الفلاح رخيصة، وديونه كثيرة، وموارده قليلة، وقد نتج عن هذا هجرته الى المدينة باحثاً عن عمل يلقي منه أجراً يومياً أو راتباً شهرياً.

وتقام في القرية رغم هذا سوق أسبوعية تعرض فيها أنواع التجارة فينتاع القرويون ما هم في حاجة اليه من أقمشة أو بضاعة. ويبيعون ما هم في غنى عنه من الغلال أو الطيور أو الزبد. ويفد اليها كثير من أبناء القرى المجاورة يتعاونون ويبيعون.

ومنذ بضع سنوات لم يكن بالقرية محطة للسكة الحديدية، أو دار للشرطة، أو مكتب للبريد والبرق، وإنما كان المسافرون يمتثلون عناء السفر بركوب ظهور الدواب وتمر النهر الى أن يصلوا الى محطة بعيدة يستقلون منها القطار، وكان ساعي البريد الجوال يصل الى القرية كل يوم على حمارة فينفخ في بوقه فيهرع القوم اليه ويقرا عليهم الأسماء فيتناول منه كل صاحب رسالة رسالته، أما اليوم فأسباب المواصلات موفورة.

ويطلع صدرك بعض الشيء أن ترى بالقرية اليوم مكتبة للتعليم اللائحة، وفكرة ناجحة في النفوس عن خطر الأمراض لاسيا (الزمد، والبهارسيا، والانكلستوما) وغيرها، ورأي أن أفضل ما تقوم به حكومة مصرية هو رقية شئون الفلاح وأحوال القرية، لأن الفلاحين هم كثرة سكان مصر، ولأن القرية هي مورد ثروة البلاد الأساسي.

عبد الرحمن نهمي

قصص اجتماعية ونماذج من أدب القرب

مجموعة مختارة من القصص الرفيع لطائفة من اعلام الأدب الفرنسي في ٣٠٠ صفحة طبع دار الكتب

منترجمه بقلم محمد عبد الله عنانه المحامي

خفص ثمنه لمناسبة الاجازات من ١٠ الى ٨ قروش (عدا البريد) يطلب من المترجم رأساً بشارع الساحة نمرة ٢٩ - تليفون ٤٤٦٨٣